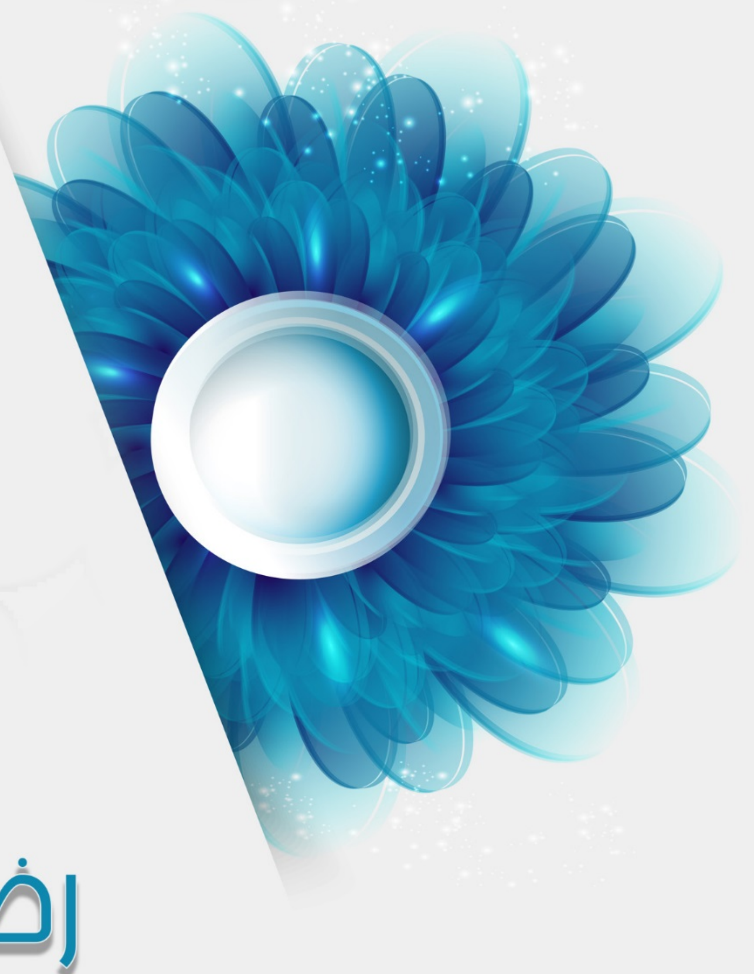
التنوع وقبول الآخر من السنن الحياتية



رضا أحمد السباعى



هذا الكتاب منشور في



التنوع وقبول الآخر من السنن الحياتية

رضا أحمد السباعي

المقدمة

إن الحمد لله له الحمد الحسن والثناء الجميل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وكل خلق إليه فقير، لا يحتاج إلى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، إمام الأتقياء وختام الأنبياء، حبيب رب الأرض والسماء، فاللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم تسليماً كثيراً.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " (آل عمران: 102)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (النساء: 1)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) " (الأحزاب: 70 – 71)

أما بعد:

فإن الأصل البشري واحد، وإن تعددت عقائدهم وأجناسهم ولغاتهم " فقد جاء الإسلام بالعناية بجمع شتات الأجناس والأمم فى إطار واحد،لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين عربى وأعجمى، ومن مقاصد الإسلام التقريب قدر المستطاع بين العادات والتقاليد حتى أفرغ الجميع فى قالبٍ واحد، فنبذ بذلك كل عوامل الانحطاط"[1]

وقد قرر القرآن الكريم تعددية الصنف البشرى فى غير ما آية كما قال تعالى:

" وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) " (الروم: 20- 22)

وبالرغم من إقرار الإسلام للتنوع والتعددية فإن المسلمون متهمون فى الكثير من دوائر الفكر الغربى ومعظم دوائر الفكر العلمانى بالتعصب وإنكار الآخر 1

[1] ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسى (ص 25) هدية مجلة الأزهر.

ولكن هذا الاتهام فى الحقيقة خاضعٌ للأهواء والرغبات الشخصية، بعيدٌ عن التحقيق العلمى والبحث المتجرد.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن معالم المنهج الذى أرساه الإسلام فى هذا الموضوع:

التنوع وقبول الآخر

وكيف كان تطبيق ذلك سبيلا لتوضيح صورة الإسلام الحقيقية.

- **أسباب اختيار هذا الموضوع**

لقد اخترت الكتابة فى هذا الموضوع للأسباب الآتية:

1- إن هذا الموضوع (**التنوع وقبول الآخر**) مما كثر الكلام فيه بحق وبغير حق، فكان لا بد من بيان معالمه حتى تتضح للجميع.

2- أنه من الموضوعات الاجتماعية الحياتية، وهذه من الأهمية بمكانٍ لجميع الناس وجميع الفئات.

3- أنه أحد موضوعات المسابقة العلمية بالأزهر الشريف، حفظه الله وبارك فى علمائه.

4- لم يتم تناوله قبل ذلك بالشكل الكافى المتناسب مع أهميته، فضلاً عن تغطية كل أبعاده.

5- نعيش اليوم حرباً كلامية حول المصطلحات والعبارات فكان لابد من توضيح المصطلحات ذات الإشكالية من مثل مصطلحات التنوع وقبول الآخر.

6- أنه كثيرا ما كان يتردد فى نفسى أن أبحث هذا الموضوع لتبيين الحق فيه والعمل به.

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهى على النحو التالى:

1- المقدمة:

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب الكتابة فيه، وخطة البحث.

الفصل الأول (الاختلاف والتنوع، التعريف والماهية) وفيه مباحث:

المبحث الأول: تحرير الألفاظ والمصطلحات.

المبحث الثانى: حكم الاختلاف فى الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: أنواع وأسباب الاختلاف.

المبحث الرابع: المنهج فى التعامل مع الاختلاف.

[1] الإسلام والآخر د. محمد عمارة (ص 5) مكتبة الشروق الدولية.

2–الفصل الثانى: قبول الآخر، مفاهيم وآليات وفيه مباحث:

المبحث الأول: ضوابط استعمال المصطلحات فى الشريعة الإسلامية.

المبحث الثانى: من هو الآخر؟ وما معنى قبوله؟

المبحث الثالث: الإسلام والغرب من يقبل من؟ ومن يرفض من؟

المبحث الرابع: آليات التعامل مع الآخرين فى الشريعة الإسلامية.

3–الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

4–الفهارس وتشمل:

1-فهرس الآيات القرآنية.

2-- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

3-فهرس المصادر والمراجع.

4-فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً فى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

الباحث

رضا أحمد محمد السباعى

الفصل الأول

الاختلاف والتنوع التعريف والماهية

المبحث الأول: تحرير الألفاظ والمصطلحات:

- قديماً قال العلماء: (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره) بمعنى أنه لا يجوز الحكم على شيءٍ بدون معرفته معرفةً حقيقيةً. قال الجرجانى رحمه الله: " التصور حصول صورة الشيء فى العقل " [1] وقال أبو البقاء الكفوى رحمه الله: " والتصور قد يكون علماً وقد لا يكون كالتصور الكاذب " [2]
- فالتصور المقصود إذاً هو التصور العلمى الدقيق عن هذا الشيء.

وقد قال ربنا جل فى علاه: " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " (الإسراء: 36)

- وبناءً على ذلك كان الكلام فى هذا المبحث عن تصور وتحرير الألفاظ المراد التكلم عنها، وهذا أوان الشروع فى المقصود فنقول وبالله التوفيق:

الخلاف:

1- لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: " الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة أحدها أن يجئ شيء بعد شيء يقوم مقامه والثانى: خلاف قدام والثالث: التغير " [3]

والأصل الأول هو المقصود هنا كقولك: اختلف الناس فى كذا فهم مختلفون لأن كل واحدٍ منهم ينحى قول صاحبه ويقيم قوله مقام الذى نحاه.

وجاء فى لسان العرب:" والخلاف: المضادة " [4]

وفى القاموس المحيط " والخلاف المضادة، واختلف ضد اتفق " [5]

فتبين مما سبق أن مادة خلف فى لغة العرب تعنى المضادة وعدم الاتفاق، وذلك بأن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر سواءً فى الأقوال أو الأفعال.

---

[1] التعريفات على بن محمد الجرجانى ص 59.

[2] الكليات أبو البقاء الكفوى ص 290.

[3] معجم مقاييس اللغة مادة خلف.

[4] لسان العرب لابن منظور مادة خلف.

[5] القاموس المحيط للفيروز ابادى مادة خلف

2- اصطلاحا:

قال الجرجانى رحمه الله: " الخلاف: منازعةٌ تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل" [1]

وبالنظر إلى المعنى اللغوى والاصطلاحى للخلاف نستطيع أن نقرر أنه فى لغة العرب يعنى عدم الاتفاق.

وهذا هو المراد فى المعنى الاصطلاحى فالخلاف فى الأقوال والأفعال بين الناس معناه: عدم الاتفاق فى تلك المسألة أو الرأى بما يؤدى إلى ذهاب كل فريقٍ إلى رأي خلاف الفريق الآخر، وينشأ عنه منازعة ومناقشة لإظهار الحق وتزييف الباطل ولا بد لنا هنا أن نتكلم فى مسألةٍ كثر النقاش فيها، وهى الفرق بين الخلاف والاختلاف، فقد اختلف أهل العلم فى ذلك على قولين:

القول الأول:

يرى جمهور العلماء أنه لا فرق بين اللفظين، ودليل ذلك اتفاق معاجم اللغة على جعل مادة (خلف) الثلاثية أصلاً لمجردها ومزيدها وأنها من المشترك اللفظى، وأيضاً استخدام علماء الشريعة للفظين فى المعنى نفسه دون تنبيهٍ على وجود فرق بينهما.

القول الثانى:

يرى بعض علماء الحنفية أن هناك فرقا بين اللفظين كالتالي:

فالخلاف يستعمل فيما لا دليل عليه.

والاختلاف يستعمل فيما بنى على دليل.

والراجح، والله أعلم هو عدم التفريق، لأن أدلة الجمهور أقوى وأوضح.

- التنوع:

1- لغةً:

مأخوذٌ من النوع قال ابن فارس رحمه الله " النون والواو والعين كلمتان إحداهما تدل على طائفةٍ من الشىء مماثلةٍ له والثانية ضربٌ من الحركة." [2]

2- اصطلاحاً:

كون الشىء متعدداً ومتفقاً فى الحقيقة. [3]

---

[1] التعريفات على بن محمد الجرجانى ص 135.

[2] معجم مقاييس اللغة مادة (نوع).

[3] التعريفات ص 316.

وبالنظر إلى المعنى اللغوى والاصطلاحى للتنوع، نستطيع أن نقرر أن التنوع ما هو إلا طبيعة موجودة فى البشر بغرض إثراء الحياة وإغنائها بالثقافات والحضارات، وكذلك العقليات التى تساعد على قيام الحياة وعمارة الأرض، بل والكون بأسره.

ويجب أن نؤكد أن الإسلام حث على احترام الإنسان، كما أنه حث المسلمين على التعايش واحترام الاختلافات والتنوع حتى مع غير المسلمين، وأوجب البر والقسط وهو العدالة معهم ما دام أنه لم تظهر منهم عداوة للمسلمين قال تعالى:

" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)" (الممتحنة: 8 – 9) [1]

لقد خلق الله البشر، وأقام بينهم روابط متعددة إنسانية ودينية وقومية وعائلية، وذلك ليتعاون الناس فى شئون حياتهم. فالإسلام يدعو إلى التعايش السلمى بيننا كمسلمين وبين غيرنا من أصحاب الديانات والملل الآخرى، خاصة وإن كنا نعيش فى وطن واحد ودولة واحدة.

ويمكن تلخيص منهج الإسلام فى جملة واحدة هى:

(اختلاف فحوار فتعارف فتسامح فتعايش وسلم اجتماعى)

وعلى قدر عظمة الإسلام فى ترسيخ هذا المنهج والدعوة إليه، على قدر رفضه لثقافة الصدام والحروب على كل المستويات الإنسانية. [2]

فما أحوجنا لترسيخ هذه المفاهيم فى أذهاننا وأذهان أبنائنا، لنعيش فى أمن وسلام.

وما أحوج الإنسانية لتطبيق منهج الإسلام فى إقراره للاختلاف والتنوع فى المجتمع لتحقيق السلم الاجتماعى.

ليعش كل منا مقتنعاً برأيه مخالفاً لغيره، ولكن محترماً له مقدراً لفكره راضياً بالتعايش معه على أساسٍ من الاحترام المتبادل.

---

[1] الإرهاب وخطره على السلام العالمى مجموعة من العلماء ص 175.

[2] ملخص أعمال مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب ص 131 – 132.

المبحث الثانى: حكم الاختلاف فى الشريعة الإسلامية

ونعنى هنا هل يجوز الاختلاف، أم أن الاختلاف ممنوع فى الشريعة الإسلامية؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل يجب أولا أن نتعرف على فائدته، فماذا ستعنيه المشروعية إذا ما أثبتناها؟

نقول وبالله التوفيق أننا إذا ما أثبتنا مشروعية الخلاف فسيترتب على ذلك:

أولا: عدم جواز إنكار مطلق الاختلاف، لأن ما أباحة الشرع لا يجوز إنكاره بل يجب إقراره والرضا عنه.

ثانيا: عدم جواز تجاوز حده المشروع الذى أقره الشرع واباحه، وإحسان التعامل معه.

* وشرعية الاختلاف مأخوذةٌ مما يلى: [1]

1- **فطريته:**

فالاختلاف أمر فُطر البشر عليه فى جميع شئونهم، وليس خاصاً بالأمور الشرعية قال تعالى"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " (هود 118 – 119) أى وللاختلاف خلقهم، وهذا هو تفسير ابن عباس رضى الله عنه، والحسن البصرى، وغيرهما من السلف، وهو اختيار الإمام مالك بن أنس، وترجيح ابن جرير الطبرى رحم الله الجميع.

2- **حتميته**

فهو أمرٌ لابد من وقوعه، ولا يمكن أن يشرع الله تعالى تشريعاً يضاد ما قدره أزلاً لأن الإرادة الشرعية لا تضاد الإرادة الكونية لكونهما إرادتين لمريدٍ حكيمٍ عليمٍ واحدٍ هو الله تعالى ولكون افتراض تشريع ما ينافى المقدر أزلاً تكليفاً بما لا يستطاع وقد حرمه الله تعالى على نفسه " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " (البقرة: 286)

فظاهرة الاختلاف فى الآراء والأفكار والنظريات والمعتقدات والتصورات ظاهرة أزلية غارقة فى القدم وهى كذلك ظاهرة طبيعية وواقعية وفطرية، ومن هنا فالغريب حقا بعد كل ذلك محاولة البعض جعل الناس كلهم يؤمنون بفكر واحد وثقافة واحدة ومعتقدات واحدة. فقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:" فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ "الغاشية (21 – 22)

إن التنوع والاختلاف الذى هو آية من آيات الله وقدرته أبى بعض البشر – عن ظلمٍ وجهلٍ – إلا أن يجعلوا من مدلولاته أسباباً للعصبية، وأن يقيموا منه حدوداً تفصل بينهم وبين غيرهم من البشر.

وقد ظهر الاختلاف فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره، فقد اختلف الصحابة رضى الله عنهم فى مسألة الصلاة فى بنى قريظة عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المجاهدين الخارجين من المدينة ألا يصلوا العصر إلا فى بنى قريظة، فتأول بعضهم الأمر على أن ذلك مفاده الإسراع فصلوا فى الطريق، بينما أمضى البعض

---

[1] هذا البحث ملخص من كتاب اختلاف المفتين للشريف حاتم بن عارف العونى (ص 12: ص 15).

الآخر النص على ظاهره فصلوا العصر عندما وصلوا إلى بنى قريظة، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفريقين [1]

ويظهر هنا جليا أن الاختلاف فى وجهات النظر وتقدير الأشياء أمر فطرى طبيعى، وكذلك هو حق عام لكل الناس قال تعالى: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ " (المائدة: 48)

فسنة الله عز وجل قائمة فى اختلاف حظوظ الناس من الهداية والإيمان، وفقهاء المسلمين وأئمتهم الكبار من أمثال الأئمة الأربعة وغيرهم اختلفوا فى كثير من الأمور الاجتهادية، وهم جميعا على الهدى وقد اختلفوا بسبب اختلاف الأفهام والتصورات كما قدمنا قبل ذلك، ولم يتجه واحد منهم لجمع الناس على رأيٍ واحد لعلمهم السابق بحتمية الخلاف وكذلك بمشروعيته، وقصة مالك بن أنس رحمه الله مع أبي جعفر المنصور مشهورةُ متداولةُ لما أراد أبو جعفر حمل الناس على كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة، فرفض مالك بن أنس رحمه الله وقال قولة مشهورة تستحق أن تعلق فى منزل كل إنسان مسلم وغيره حيث قال: (يا أمير المؤمنين لا تفعل فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم)

وقال أيضا: (يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى الأمصار وقد أخذ كل قومٍ من العلم ما بلغهم)

ومما يدل على مشروعية الاختلاف أيضاً أقوال بعض أهل العلم نذكر منها:

* قول ابن تيمية رحمه الله (لابد أن تقع الذنوب من هذه الأمة، ولابد أن يختلفوا فإن هذا من لوازم الطبع البشرى، لا يمكن أن يكون بنو أدم إلا كذلك) [2]

* وقول ابن القيم رحمه الله عن الاختلاف (فإنه أمر لابد منه فى النشأة الإنسانية) [3]

* وقول الشاطبى رحمه الله (فتأملوا رحمكم الله كيف صار الاتفاق محالاً فى العادة) [4]

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نقرر:

1- مشروعية الاختلاف بين البشر ناتج عن تعدد ثقافاتهم وآرائهم وتصوراتهم.

2- عدم حمل الناس على رأى واحد لمخالفة ذلك للفطرة البشرية السليمة.

3- قبول الاختلاف لا يعنى بالضرورة قبول كل الأراء، إنما فقط يعنى التعايش والسعى إلى إيجاد مناطق مشتركة وأرضية قابلة للوقوف عليها جميعا.

---

[1] التنوع والاختلاف –منبر الحرية – أحمد حسن زرد مقال على الشبكة العنكبوتية.

[2] ابن تيمية مجموع الفتاوى 4 / 150 – 151

[3] ابن القيم الصواعق المرسلة 2 / 519.

[4] الشاطبى الاعتصام 1 / 470.

4- السعى إلى إنهاء الاختلاف ضرب من الخيال يعارض الفطرة وكذلك يعارض الشرع.

5- التنوع إثراء والاختلاف إغناء، ويبقى علينا فقط أن ندير هذا الاختلاف بما يناسب كل نوع منه.

وهذا يقودنا إلى المبحث الثالث وهو:

المبحث الثالث: أنواع وأسباب الاختلاف

أ. أنواع الاختلاف

الناس منذ خلقهم الله عز وجل وهم مختلفو الطبائع والرغبات والميول، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.)[1] فالناس معادن أى أصول مختلفة والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المستقر فى الأرض فتارةً يكون نفيساً وتارةً يكون خسيساً وكذلك الناس. وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (إن الله خلق ادم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب) [2] وتمثل بعض الشعراء يؤكد هذا المعنى فقال:

الناس كالأرض ومنها هم فمن خشن الطبع ومن ليّنِ

فجندلٌ تدمى به أرجلٌ وإثمدٌ يوضع فى الأعينِ

ومع تقريرنا لاختلاف الناس، لابد أن نعى أن أفكار وأقوال الناس ليست كلها بذات اعتبار فى ميزان العقل أو العلم، وأن من ذلك ماله وجاهته واعتباره حتى ولو كنا نخالفه ونخطئه ومن ذلك ما لا يكون له وجاهة ولا اعتبار.

وهذا الأمر الواضح يلزم بأن يكون الاختلاف قسمين، فمنه ما هو معتبر سائغ، ومنه ما هو غير معتبر ولا سائغ، وهذا يكون على جميع المستويات أقوالاً وأفكاراً وآراءً، وقد أحسن الشيخ عبد الجليل عيسى رحمه الله إذ عقد فصلاً فى كتابه "ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين " عنوانه (**الخلاف المعقول وغير المعقول**) قرر فيه قسمى الخلاف وضرب عليهما أمثلة وتوضيحات [3]

وهذا التقسيم للاختلاف وإن كان قد اشتهر على ألسنة الفقهاء وتعلق بالأحكام، إلا أنه موجودٌ أيضاً على مستوى الأراء والأفكار بل والأشخاص.

ولذلك فيمكن تقسيم الخلاف باعتبار القبول والرد إلى نوعين هما:

النوع الأول: الخلاف المذموم

---

[1] صحيح مسلم – البر والصلة والأداب – 2638.

[2] الترمذى 2898 وأبو داود 4076.

[3] ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، ص 32.

النوع الثانى: الخلاف السائغ

النوع الأول: الخلاف المذموم

ويدخل تحت هذا النوع صور منها:

1- خلاف الكفار

وهو أقبح الصور، لأن الكفار قد خالفوا فى أصل الدين، وذلك بتركه كله قال تعالى " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ" (البقرة: 176)

1-خلاف أهل الأهواء والبدع

وسبب ذلك مخالفتهم للكتاب والسنة واتباع أهوائهم وتقديمها على الشرع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى حديث معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما قال (ألا إن رسول الله عليه وسلم قام فينا فقال: ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين....)[1]فدل ذلك على افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، منهم أهل السنة ومنهم أهل البدع والأهواء.

2-الخلاف الواقع فى المسائل التى لا مجال للاجتهاد فيها

قال الإمام الشافعى رحمه الله: كل ما أقام الله به الحجة فى كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منصوصاً عليه بيناً، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه [2] وعليه فلا يجوز ولا يحل بناء أفكارٍ ومعتقداتٍ على ما لم يرد فى كتاب الله عز وجل ولا على ما لم يرد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل فكرٍ ورأيٍ لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالأحرى يخالفهما فهو مردودُ مع حفظ حق صاحبه فى الاحترام والتعايش كما سنبين بعد ذلك بحول الله وقوته.

3-الخلاف فى المسائل التى فيها مجال للاجتهاد ولكن صاحبَ ذلك الخلاف بغيُ أو هوىً أو عصبيةُ

قال تعالى: " فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (الجاثية: 17)

قال تعالى:" وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " (المائدة: 77)

فهذه باختصار صور الخلاف المذموم ويتضح منها الآتى:

* أن كل من خالف فى أصل من أصول الكتاب والسنة، أو كل شخصٍ قد ثبت أنه قد اتبع هواه فى خلافه فهو مذموم، وفكره مردود عليه، بل من العلماء من لا يعد خلافه هذا خلافاً أصلاً.

قال القائل:

---

[1] أبو داود 4597.

[2] الرسالة للشافعى ص 560 فقرة 1673 – 1674.

وليس كل خلافٍ جاء معتبر إلا خلافاً له حظٌ من النظر

النوع الثانى: الخلاف السائغ

- وهو اختلاف الناس فى الأفكار والتصورات، التى ليس فيها دليلٌ قطعى. وهى ما يسميها الفقهاء المسائل الاجتهادية.
- يقول الزركشى رحمه الله (وأما التى يسوغ فيها الاجتهاد فهى المختلف فيها)[1]

ويدخل تحت هذا النوع صورٌ منها: [2]

1- ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأناسٍ من الصحابة (كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) [3]

2- ما يكون كل من القولين هو فى معنى الآخر، لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف الناس فى التعبيرات عن المسميات وتقسيمات الأحكام.

3- ومنه ما يكون المعنيان مختلفين، لكن لا يتنافيان فهذا صحيح وهذا صحيح، وهذا كثيرُ فى المنازعات جداً.

4- ومنه ما يكون طريقتين مشروعتين فأناسٌ سلكوا هذه الطريقة، وآخرون سلكوا الأخرى وكلاهما محسن.

فهذه باختصار صور الخلاف المحمود أو السائغ ويتضح منها:

أن كل قولٍ أو رأيٍ له مستندٌ وأصل فى الكتاب والسنة فهو الرأى وهو المقبول.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فكل ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو سائغ وجائز) [4]

فقبول الأقوال والاعتبار بها إنما يكون بحسب موافقتها أو مخالفتها للأدلة، فضلاً عن حصول الإجماع على دلالتها

ويمكننا إجمال النقاط التي يعتد بها في رد أي خلاف وعدم الاعتبار به فيما يلي:

1- إذا كان القول المخالف مناقضاً للنصوص الصريحة القطعية من الكتاب والسنة فلا عبرة به.

2- إذا وقع على خلاف الإجماع الصحيح المنضبط فلا عبرة به.

3- إذا كان قولاً مهجوراً يتقيه العلماء على مدار تاريخ الفقه فلا عبرة به.

4- إذا كان الخلاف مناقضاً لمقاصد الشريعة وقواعد المصالح التي جاءت بها فلا عبرة به.

---

[1] البحر المحيط للزركشى (6 / 240).

[2] مستفاد بتصرف من كلام ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم 1 / 149 – 150

[3] البخارى 2279.

[4] منهاج السنة النبوية 6 / 123.

فهذه الأمور إذا توفرت في القول أو الرأي فلا يعتد به وقولنا فلا عبرة به إنما ينصرف بطبيعة الحال إلى القول لا إلى القائل، فالقائل له كل الاعتبار في جانب التعايش والقبول.

ب– أسباب الاختلاف

بعد أن استعرضنا حتمية وقوع الخلاف وكذلك أنواعه وتكلمنا عن كل نوع، فنحن الأن بصدد الحديث عن أبرز أسباب الاختلاف بين الناس وهي:

1– **فساد النية** لما فى بعض النفوس من البغى والحسد والعلو فى الأرض والفساد، ولذلك يحب أحدهم أن يذم قول غيره أو فعله ليتميز عليه.

2– **اتباع الهوى** فقد يكون الدافع للخلاف وليد رغبات نفسيه أو رغبة التظاهر بالفهم أو العلم أو الفقه، فالذي يثير النزاع هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداءً.

3– **جهل المختلفين** بحقيقة الأمر الذى يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذى يرشد به أحدهما الآخر.

4– **التعصب** لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف، وينشأ هذا التعصب عن قوة الإيمان بالفكرة أو الغرور والخيلاء، وقد يخفى على الإنسان موضع التعصب فى نفسه، ولذلك كان هذا السبب من أكثر الأسباب الناشئ عنها الخلاف.

5– **التقليد** حيث يعمد البعض إلى تقليد السابقين ومحاكاتهم من غير نظر إلى الدليل والبرهان، وطبيعى أن يدفع ذلك إلى الاختلاف والمشاحنة والمجادلة غير المنتجة.

6– عدم تحرير محل النزاع فغموض محل النزاع يجعل التقارب ضعيفاً في وجهات النظر، وإدراك موضع النزاع يجلي مواطن الخلاف ومواطن الاتفاق وكثيرٌ من الخلاف سببه هو عدم ضبط مفردات النزاع وتحرير المسائل.

7– اختلاف المدارك فبعض الناس قد آتاه الله عقلاً راجحاً وبصيرةً نافذةً وفكراً ثاقباً يدرك الموضوع من كل جوانبه، والبعض عنده قصور نظر، فلا يستطيع الإحاطة بالموضوع بنظرةٍ شاملةٍ فهذان الصنفان لا بد أن يختلفا.

8– عدم تفهم طرفى النزاع للمبررات التى تدفع كل واحد منهما لاتخاذ موقفٍ ما أو التمسك برأى ما، لأنه كثيراً ما تدخل موازنات معينة وحسابات خفية وضغوطات عديدة تؤثر أحيانا فى صياغة الموقف.

9– سوء الظن بالآخرين وهذا الداء يخفى وراءه أمراضاً وأدواءً أخرى كالأثرة وحب الذات واتهام الآخرين مما يؤدى إلى الوقوع فى الاختلاف.

10– الخلط بين الثوابت والمتغيرات وبين الأصول والفروع فحين تختلط الأمور ولا يتم التمييز بين هذه وتلك يقع الخلاف لأدنى سبب، ويظن كل طرف أنه يحكم الشرع ويحمى حمى العقيدة.

ولا تقف أسباب الفرقة والاختلاف عند هذه الأسباب فثمة أسباب أخرى ولكن الجامع لها ضعف الإيمان والتقى، وتغليب الهوى على الهدى وحب الذات فى مقابل سحق الآخرين، والجهل بأحكام الشريعة ومقاصد

الإسلام وقد قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) الأنفال.

المبحث الرابع: المنهج فى التعامل مع الاختلاف

إن المتأمل للواقع اليوم وما يجرى فيه من خلافٍ ونزاعٍ فى مسائل فرعية أو جزئية بين الناس من خلال كثرة الردود والمقالات المنتشرة بين دفتى الصحف والمجلات وبعض المواقع الإلكترونية، وتصعيد هذا الخلاف ليصل إلى حد الفرقة والاختلاف، أو قد يصل أحياناً إلى حد الفجور فى الخصومة والبغضاء والإحجاف ما هو إلا بسبب ضعف الأهلية فى فهم مسائل الخلاف، وعدم إدراك بعض الطرق فى التعامل مع المخالف من منطلق القواعد الشرعية وفهم السلف الصالح، ونجد أن علمائنا رحمهم الله قد درجوا منذ القدم على إرساء القواعد فى التعامل مع المخالف والرد عليه.

وقد قسم الباحث سليمان الماجد قواعد التعامل مع الاختلاف إلى خمسة أقسامٍ كالتالى: [1]

أولا: قواعد عمل القلب

ثانيا: قواعد العلم واليقين.

ثالثا: قواعد العدل والإنصاف.

رابعا: قواعد السياسة الشرعية.

خامسا: قواعد الأخلاق.

وسنقوم بعرض هذه القواعد التى تمثل منهجا للتعامل مع الاختلاف بشيءٍ من التصرف لما قدمه الباحث.

أولا: قواعد عمل القلب

1- الخشية

فزوال الخشية أو نقصها من أعظم أسباب العدوان على المخالفين وبخسهم حقوقهم، بل زوالها أو نقصها يؤدى لمزيدٍ من الاختلاف فليست أزمة قبول الحق والإذعان له أزمة علمية أو معضلة فى البحث والتحقيق، ولكن الأزمة الكبرى هى فى التجرد من الهوى والمؤثرات المتعلقة به.

قال تعالى "أمن هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخرةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ "(الزمر: 9).

2- أن يكون قصد الاختلاف براءة الذمة بالبيان للأمة

[1] منهجية التعامل مع المخالفين سليمان عبدالله الماجد بتصرف كبير.

فلا يكون له غرضٌ فى الاختلاف كتقديس النفس أو الهوية أو الانتصار لهما، فمتى علم الله ذلك منه حصل له من القبول ومحبة الخلق وانتفاعهم به ما يرفع الله به قدره ويخلد به ذكره. فالنزاع المعلن اليوم أنه لله هو فى الحقيقة بين الذوات أو الهويات المختلفة. [1]

وإذا بلغ الأمر هذا الحد فلا تسل عن الفوضى العلمية، ولا عن التدابر والعدوان على المخالفين من كل فريق.

3- الحرص على الانتفاع من المخالف

فأكمل الأحوال أن يوطن المرء نفسه للانتفاع من المخالف مهما كانت ديانته وجنسه، وأن يعلم أن هذا من أظهر علامات حسن قصده من إظهار الخلاف وهذا يوطن لأمرين مهمين:

1- تهيئة النفس لقبول الحق.

2- التواضع للخلق.

فعن قتيلة بنت صيفى الجهنية رضى الله عنها قالت: أتى حبرٌ من الأحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون! قال: سبحان الله ! وما ذاك؟ قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ثم قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة قال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال: سبحان الله وما ذاك؟ قال: تقولون ما شاء الله وشئت. قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: فمن قال ما شاء الله فليقل معها ثم شئت) [2]

فنرى هنا سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهودى فى أمور عقدية، ولم يأنف أن يقول بقوله حين وافق الحق فالحق أحق أن يتبع.

---

[1] نقول وهذا ذنب عظيم أن يجعل المخالف تعظيم الله لافتة يخفى تحتها أخس المعانى.

[2] النسائى 3773.

ثانيا: قواعد العلم واليقين

1- تحقيق المسائل

فلا ينبغى الاكتفاء بالثقافة العامة والمطالعات السريعة والبناء على ذلك فى نتائج، إنما هو من اعتبار الجهل والظن، ولقد وضع أهل العلم مراحل للحكم على أى مسألةٍ وهى:

أ- **تخريج المناط** وهو استخراج ما يحتمل أن يكون علةً للحكم ومقصداً له، ومثاله: تحريم الخمر قد جاء النص به من غير بيانٍ للعلة فاجتهد العلماء فى استخراج علة تحريم الخمر.

ب- **تنقيح المناط** وهو استبقاء الوصف المؤثر لتعليل الحكم، وذلك تخليصاً لمناط الحكم مما ليس بمناطٍ له.

ومثاله: الأعرابى الذى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وأخبره بأنه جامع زوجته فى نهار رمضان متعمدا، فأوجب عليه الكفارة، فعلة إيجاب الكفارة هى أنه جامع فى نهار رمضان عامداً.

ج- **تحقيق المناط** وهو وجود تحقق صحة العلة فى نفسها التى ثبتت فى الحكم الشرعى، ومثال ذلك حديث أبى قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الهرة: (إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات)، فهنا تم التصريح بالحكم والعلة لكن هل ينطبق هذا الحكم على الفأرة؟ فهنا يقوم العالم بتحقيق وجود العلة فى الفرع.[1]

وعن طريق هذه المراحل الثلاث نستطيع الوصول للحكم في أي مسألة عقدية كانت أو فقهية أو حتى فكرية ونتجنب بذلك وقوع الزلل أو الخطأ.

2- نبذ التقليد

فليس من العدل ولا من العلم أن يقلد المرء غيره فى الحكم على الآخرين، وما يترتب عليه من التعامل معهم بهجر أو تنفير أو عقوبة فما كان قطعيا فلا تقليد فيه لظهوره، وما كان محل اجتهاد أو مشكوكاً فيه لم يجز لأحدٍ أن يخرج من المقطوع به وهو حرمة عرض المسلم ولزوم وفائه جميع حقوقه بأمرٍ مشكوكٍ فيه لا يعرف وجهه ولا دليله.

---

[1] مقال الفرق بين تخريج وتنقيح المناط وتحقيق المناط. موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية.

3-التثبت والتبين

يقع الظلم والعدوان على المخالف بسبب العجلة وأخذ الكلام من مصادر غير معتبرة إما فى ورعها وإما فى ضبطها وحسن فهمه،ا ولهذا قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (الحجرات: 6).

ثالثا: قواعد العدل والإنصاف

1- حمل كلام المخالف على أحسنه

فالكلام ملك لصاحبه وهو أولى الناس بتفسيره، ولا يجوز أن نختار تفسيراً نشاءه للحكم عليه.

2- عدم الفجور فى الخصومة

فمهما بلغ المخالف فى مخالفته فلا يجوز أن يُظلم أو يُجار عليه أو يُكذب عليه أو أن يُزاد فى حديثه ما لم يقله.

3- أن يعتبر حسناته ويوازنها بسيئاته

فينسب الفعل الذى خالف فيه إلى بقية أعماله الأخرى، فإن غلب خير الشخص على شره كان الحكم للغالب، فهذا النبى صلى الله عليه وسلم جعل مسيره إلى قريشٍ سراً، فقام حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه بعملٍ خطيرٍ آثاره مدمرة، حيث سعى لإبلاغ المشركين بذلك.. فماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد جعل من حسناته سبباً للعفو عنه " لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم "

رابعا: قواعد السياسة الشرعية

1- عدم امتحان الناس فى معتقداتهم

لأن ذلك قد يدفع أصحابها إلى إظهارها والمنافحة عنها، وقد يُحدث ذلك وجود أتباعٍ لهذا القول أو مستمعين له بل ومعجبين بطريقته.

2- توجيه التعرية والإسقاط لقول المخالف لا لقائله

وهذه قاعدةٌ واضحةٌ جليةٌ من خلال منهج الكتاب والسنة، فإن الناظر فى هديه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الأصل فى التعامل مع الأفراد المخالفين هو تركُ بيان أسمائهم (ما بال أقوامٍ) والإعراض عن الدوران حول ذواتهم وهذا ظاهرٌ بينٌ أيضاً فى منهج القرآن حين لم يذكر أسماء المشركين فى مكة ولا أسماء المنافقين فى المدينة حيث جعل صلى الله عليه وسلم أسماء المنافقين سراً عند بعض أصحابه رغم شدة خطورتهم.[1]

---

[1] ينظر فى ذلك سيرة ابن هشام وصحيح السيرة النبوية إبراهيم العلى والسيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمرى.

3- عدم الهجر إلا فى موضعه

فالهجر لا يشرع إلا لمصلحة أو درء مفسدة وذلك مبنىٌ على أصل عظيمٍ وهو بقاء حقوق الإسلام، وعلى ذلك مضى الأئمة والعلماء والدعاة المصلحون فى كل عصرٍ ومِصر.

خامسا: قواعد الأخلاق

1- ألا يظهر به شماتة أو تألٍ على الله

كما فى قصة الرجل الذى قال لأحدهم والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله من ذا الذى يتألى على فإنى قد غفرت لفلان [1]

2- أن يتواضع للحق والخلق وأن يزرى على نفسه

كما قال أحد السلف (كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس، فمن لم يكن كذلك لم يزل فى تخبيطٍ ولم يزل أمره فرطاً). وكما قال صلى الله عليه وسلم (وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله). [2]

3- أن يصبر على أذاه ويعامله برفق ولين

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الرفق فى الأمر كله). [3] وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون فى شىءٍ إلا زانه ولا ينزع من شىءٍ إلا شانه.) [4] فمن خلال ما سبق من قواعد يتبين لنا مدى حرص الشريعة الإسلامية على إنصاف الآخر، والتعامل معه بهذه القواعد لتحقيق أكبر قدرٍ من التآلف بين أبناء الأمة الإسلامية، وأكبر قدرٍ من التعايش مع غير المسلمين كما رأينا فى قصة النبى صلى الله عليه وسلم مع حبر اليهود.

وأختم هذا الفصل بنقلٍ عزيزٍ عن الإمام ابن القيم رحمه الله إذ يقول: (والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حليةٍ تحلى بها الرجل، خصوصاً من نصب نفسه حكماً بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: " وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ " (الشورى: 15) فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف، وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوى مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبه يسير بسيره وينزل بنزوله يدين بدين العدل والإنصاف) [5]

وقال أيضا رحمه الله: (فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان فلو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدى لما اختلف فيه من الحق) [6]

---

[1] أصل الحديث فى صحيح مسلم برقم 2621.

[2] مسلم 2588.

[3] البخارى 6395.

[4] مسلم 2594.

[5] إعلام الموقعين (3 / 497) ابن القيم.

[6] الصواعق المرسلة ابن القيم (2 / 516).

اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك

الفصل الثانى

قبول الآخر مفاهيم وأليات

المبحث الأول: ضوابط استعمال المصطلحات فى الشريعة الإسلامية

من المعلوم أن من أعظم ما افترضه الله على عباده معرفة شرعه ودينه الذى بعث به محمداً صلى الله عليه وسلم، ولا تتم هذه المعرفة إلا بمعرفة ما دلت عليه هذه الشرعة من المعانى والحدود التى هى من الدين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذه الحدود معرفتها من الدين فى كل لفظ هو فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.... ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى

"الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ") (التوبة: 97).[1]

وفى هذا المبحث نتعرض لشيءٍ من ضوابط استعمال المصطلحات فى الشريعة الإسلامية، ولهذه الضوابط تعلقٌ وثيق ببحثنا حيث أنه يشيع استخدام بعض المصطلحات فى المساجلات الفكرية والمناقشات الحوارية يتم من خلالها التلبيس على الناس فى دينهم وعقائدهم هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يتم استخدام المصطلحات ذوات المعانى المتعددة لإبطال حقٍ وإحقاق باطل.

وإشكالية المصطلح في الدرس الإسلامي تتمثل في بعدين أساسيين:

أولاً: – ما ينشأ من اختلاف في المصطلحات ومعانيها بين الوافد من المصطلحات والإسلامي منها، وينشأ ذلك بسبب اختلاف الثقافات والبيئات.

ثانياً: – ما ينشأ من اختلاف على المصطلح الواحد في المحيط الإسلامي، وينشأ ذلك في الغالب نتيجة الخلاف المذهبي والخلفيات الفكرية والشخصية.

وهكذا تظهر أهمية إيجاد ضوابط لاستخدام المصطلحات في الشريعة الإسلامية،وهذا أوان الشروع فى المقصود[2]

الضابط الأول: موافقة المصطلحات للكتاب والسنة

وهذا يعنى موافقة المصطلح لما فى الكتاب والسنة من العقائد والشرائع الإسلامية، وهذا فى الحقيقة شرطٌ يشمل كل عملٍ فكرى أو بدنى يريد المسلم أن يقوم به، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

---

[11] الرد على المنطقيين لابن تيمية 57.

[2] هذه الضوابط ملخصة من كتاب ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية سعود بن نمر العتيبى.

1- قال تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا "(النساء: 59).

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله)[1]

3- قال صلى الله عليه وسلم (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[2]

الضابط الثاني: موافقة المصطلحات للغة العربية

حيث يرى علماء الإسلام من أهل اللغة والأصول أن هنالك علاقة ومناسبة بين الألفاظ والمعانى، وهى علاقة وطيدة وواضحة خاصة بين المعانى الاصطلاحية واللغة، وذلك لأن اللغة هى الوعاء للدلالات الفكرية المختلفة، وذلك لأن معانى المصطلحات لا تظهر إلى حيز الوجود إلا من خلال الألفاظ والمعانى أو الفكر واللغة على الصحيح، قال ابن تيمية رحمة الله: (بل كثير من الناس بل أكثر العلماء المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعانى)[3]، وشبه ابن القيم رحمه الله العلاقة بين الألفاظ والمعانى بأن الألفاظ أجساد والمعانى أرواح[4]

الضابط الثالث: موافقة المصطلحات للواقع ولما فيه نفع

حيث أن كل أمة تتميز عن الأخرى بمصطلحاتها النابعة من واقعها الاجتماعى، وتتخذها شعاراً فكان على الأمة الإسلامية أن تتميز بمصطلحاتها عن الأمم الأخرى وتكون منحازةً فى ذلك إلى أعرافها وتقاليدها الاجتماعية المتوافقة مع الكتاب والسنة، وهذا ما يدل عليه الشرع والواقع، وبذلك بطل قول من يقول بإلغاء مبدأ الخصوصية الاجتماعية للأمم.

- ونخلص بعد هذه الضوابط إلى النتائج التالية:

1- وجوب الالتزام بمصطلحات الكتاب والسنة، وعدم إبدالها بغيرها إلا فى حالتين:

أ- إذا كان المخالف لنا لا يفهم خطابنا له إلا باصطلاحه بشرط أن تكون المعانى صحيحة.

ب- لبيان بطلان هذه المصطلحات وكشف زيفها.

2- أن تفسير مصطلحات الكتاب والسنة يكون عن طريق الكتاب والسنة وبيانهما لها فإن لم يوجد ففى تفسير الصحابة رضى الله عنهم فإن لم يوجد ففي تفسير اللغة العربية لذلك.

---

[1] مسلم 1218.

[2] أبو داود 4607.

[3] مجموع الفتاوى لابن تيمية 20 / 418.

[4] بدائع الفوائد (1/ 70).

3- أن العقل المسلم يحق له أن يضع ما يشاء من المصطلحات فى سائر مجالات الحياة مما يحتاج إليه [1]

4- أن المصطلحات المجملة المشتملة على حق وباطل يستفصل عن معناها، فما كان فيها من حق قُبل، وما فيها من باطل رُد ويُبحث لما بقى من المعنى الحق عن مصطلحٍ شرعى إن وُجد وإلا غيره من المصطلحات والألفاظ الصحيحة. [2]

5- للمسلمين أن يأخذوا عن المخالف لهم فى الدين ما يحتاجونه من مصطلحات، وذلك بشروطٍ منها:

أ- أن يكون الأخذ عند الحاجة، والحاجة تقدر بقدرها.

ب- أن يكون ما يؤخذ عنهم خالياً من مخالفة الكتاب والسنة واللغة العربية والواقع الاجتماعى للأمة المسلمة

ج - أن يكون نافعاً لنا فى وقتنا الراهن.

6- المصطلحات الموهمة المتعددة المعانى لا معنى لاستخدامها، لأن الفائدة من المصطلح التوضيح والبيان، وهذا النوع من المصطلحات يورد الإشكالات على المتلقى لها ولا فائدة منه فى مجال التوضيح والبيان.

7- لا يحق لأحدٍ إبطال مصطلحات الآخرين مما وضع للمعانى والمفاهيم المحدثة، لأن ذلك يصنع خلطاً وإرباكاً للناس وقطعاً للتواصل بينهم وهذا ما لا يُقبل أبداً تحت أى ذريعة.

المبحث الثانى: من هو الآخر؟ وما معنى قبوله؟

لقد بدأت الإنسانية أمةً أو جماعةً واحدةً ثم صارت شعوباً وقبائل ليتم بينها التسابق والتدافع والتعارف، قال الله تعالى " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ "(البقرة: 213)[3]

وقال تعالى" وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (يونس: 19)، إذاً فالأصل أن الجنس البشرى واحد ولكن اختلف الناس بعد ذلك بناءً على أفكارهم ومعتقداتهم وأجناسهم ولغاتهم وهذا الاختلاف والتنوع أفرز أفكاراً وأراءً واتجاهاتٍ خلقت نوعاً من التعددية الثقافية والفكرية.

ومن أجل توضيح هذا المبحث أكثر فستنكلم فيه عبر ثلاثة مسائل:

1- المسألة الأولى: نشأة وتطور مصطلح الآخر.

2- المسألة الثانية: التصور الإسلامى لهذا المصطلح.

---

[1] بالتأكيد يجوز ذلك ما دام ملتزما بتلك الضوابط التى ذكرناها آنفاً.

[2] هذه الفائدة من الأهمية بمكان وسنتكلم عنها بالتفصيل فى المبحث الثانى إن شاء الله تعالى.

[3] الإسلام والأخر د. محمد عمارة ص 17.

3- المسألة الثالثة: معنى قبول الآخر.

المسألة الأولى: نشأة وتطور مصطلح الآخر[1]

مصطلح الآخر مصطلح ولد فى الغرب، وكان وجوده هناك مسبوقاً بوجود مصطلح الأنا لأن الغرب يرى أنه هو الأنا، وهو مركز الكون والحضارات وبقية العالم يُسمى الآخر، فنشأ ذلك المصطلح كدلالةٍ على الاستعلاء الغربى تجاه الآخرين وأصبح العالم يُرى من قبل زاوية الأنا الغربية. والمدونات الفلسفية والأدبية الغربية تعد سجلا حافلا وموثقا سُجلت فيه بكل دقة ملامح الاستعلاء الغربي على الآخر، ومن هذه النظرة الفلسفية أصبحت العلاقات قائمةً على عدم المساواة بل على غيريةٍ تامةٍ إلى درجة العداوة.

ومن فلسفة الغرب لمصطلحى (الأنا – الآخر) انطلقت الحملات الاستعمارية تحت مسمياتٍ مختلفة فتارةً حملات صليبية وتارةً حملات ضد البرابرة، والعامل المشترك هو: أن الآخر ليست له قيمة مساوية للغربى فهو بربرى أو متوحش بلا قانونٍ أو إيمانٍ ولذا فإن الحق فى أخذ ما فى يديه وما تحت رجليه، وسرقة ماله وحقوقه حق مشروع.

وقد بين "فرانسوا شاتليه" أن الغرب قد نظر للشعوب التى قصد بلادها الأصلية للاستعمار بوصفهم وحوش وبرابرة [2]. ولم تكن العنصرية والتى شكلت موقف الغرب تجاه الآخرمقتصرة على التجار الجشعين أو رجال السياسة البرجماتيين، بل كانت أيضا تحظى بدعم فلسفى وتبرير عقلي من أعمدة الفكر الغربى حيث يقول منتسيكيو: (وما شعوب إفريقيا إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس ذات أنوف فطساء إلى درجة يكاد من المستحيل أن ترثى لها، وحاشا لله ذى الحكمة البالغة[3] أن يكون قد أودع روحاً أو على الأخص روحاًَ طيبةً فى جسد حالك السواد)[4]

ومن هذه الرؤية الغربية الضيقة والمتعالية تجاه الآخر أصبحت الحضارة الغربية هى المحور والمرتكز للحضارات البشرية، وترى الدراسات والبحوث أنه لأجل أن يبرر الغربى تفوقه فقد ذهب العديد من المؤرخين الغربيين إلى إدعاء تأثير جنسٍ بشريٍ مخصوص له خصائص معينة فى صناعة التاريخ،وهو بالطبع الجنس الأوروبى، وهذا ما جعل الفرنسى جوبينو فى رسالته حول عدم تساوى الأجناس أن يقول:

(إن الآريين وحدهم هم بناة الحضارة والمحافظون عليها)

وحينما سيطرت فكرة الأنا على عقل النازية جعلت هتلر يقول بتفوق الألمان بالطبيعة على جميع أجناس البشر، ثم تتابعت بعد ذلك النظريات الغربية لتكريس الأنا والبحث عن مسوغات علمية لاستعباد الآخر وتبرير شن حروب

---

[1] مختصر بتصرف وزيادة من مقال الشيخ الدكتور عايض بن سعد الدوسرى موقع الدرر السنية.

[2] أيدلوجيا الغزو تأليف فرانسوا شاتليه ترجمة جوزيف عبدالله كتاب إلكترونى.

[3] وهذا من المضحكات المبكيات فهو يظهر وكأنه يؤمن بالله ومع ذلك ينكر خلقه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[4] روح القوانين تأليف مونتيسيكو ترجمة عادل زعيتر. اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية.

إبادة وإقصاء فى حقه لأن الآخر ليس إلا عبداً لا قيمة له، فإبادة الهنود الحمر والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والحروب الأخرى ما هي إلا تطبيق عملى لنظرة الغرب للآخر الذى لا ذنب له إلا إنه صنف غربياً بالآخر مما يعنى أنه مجرد عبد أو بربرى لا طائل منه. إننا نستطيع أن نقول لقد تم تحديد مفهوم الآخر بحسب وجهة نظر الإنسان الأبيض (الإنسان الأوروبى)، فهم يرون أن الجحيم هو الآخر كما قال سارتر: (إن الجحيم هو الغير).

إن خلاصة مصطلح الآخر أنه مصطلح غربى يدل على السلبية والعدوانية فى مقابل (الأنا) الغربية الدالة على العلو والزهو والتغطرس، ويبقى السؤال الذى قد يُطرح وهو: ماذا عن الممارسات الغربية المعاصرة تجاه (الآخر)؟ وهل هناك أى تزحزحٍ فى المواقف الغربية المعاصرة تخالف ما هو مسطور فى التراث التاريخى؟

كثير من المراقبين يؤكدون أنه حتى مع وجود القوانين المدنية الغربية وحقوق الإنسان فى العصر الحديث والتى يعتقد أنها تقيد الإنسان الغربى من ممارسة ثنائية (الأنا – الآخر)، فإن الإنسان الغربى يحاول جاهداً التفلت من أسرها كثيراً إما بعدم تطبيقها خارج حدود بلاد القانون أو بالتلاعب بالقوانين في بلاد القوانين،أو أن الإنسان الغربى يرى وجوب التمييز بطريقة ما بينه وبين الآخر، أو فى نهاية المطاف يرى الغربى أن القوانين والحقوق هى من ابتكاره ولذا فهو صاحب المنة واليد العليا فيها وعليها.

* **ويمكن أن نلخص التطور التاريخى لمفهوم الآخر فى النقاط التالية:**

1- لقد جرى الحديث عن الذات والآخر (الإنسان) العرقى أو الحضارى الثقافى أو حتى الجغرافى الخاضع لمؤثرات الأمر الواقع التى صنعت تباينه أو تمايزه أو اختلافه.

2- فى إطار الحديث عن الآخر الثقافى برز فى أوروبا الحديث عن الآخر السياسى الذى تبلور لاحقا مع بروز الأيدولوجيات الكبرى، وبعد ذلك فى إطار الصراع بين الشرق والغرب.

3- وفى عقود الحرب الباردة الخمسة تأطرت فكرة الآخر بصورة أوضح لأن هذه الحرب كانت حرب أفكار بالدرجة الأولى [1].

وبناءً عليه يظهر أن مصطلح الآخر غربى الأصل والصناعة والخلفية، لا علاقة للمجتمعات والثقافة الإسلامية به إلا فى الآونة الأخيرة التى تسربت خلالها العديد من المصطلحات الغربية ذات المدلولات الثقافية الغربية، والتى كان دخولها للثقافة والحياة الإسلامية يمثل إحجافاً بحق ثقافتنا وتراثنا الحضارى العظيم والكبير، ولولا الضعف والاهتراء الثقافى الذى عليه حال الأمة الآن ما كان لأمثال هذه المصطلحات أن تدخل حياتنا الثقافية أبداً.

[1] كيف ينظر الإنسان للإنسان الأخر: ومن هو هذا الآخر؟ الأستاذ عبد الجليل زيد المرهون موقع الرياض الإلكترونى.

المسألة الثانية: التصور الإسلامى لمصطلح الآخر

من المتعارف عليه بين الناس أن الألفاظ قوالب المعانى، فللألفاظ أهمية كبيرة فى فهم كلام الناس، ولقد تصالح الناس على مصطلحاتٍ يتكلمون بها ويتفاهمون من خلالها، وقد جاءت النصوص الشرعية بضبط المصطلح واللفظ المستخدم فمن هذه النصوص قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (البقرة: 104)

قال السعدى رحمه الله: كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول صلى الله عليه وسلم عند تعلمهم أمر الدين (راعنا)، أى راع أحوالنا فيقصدون بها معنىً صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنىً فاسداً فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب. ففيه استعمال الألفاظ التى لا تحتمل إلا الحسن وترك الألفاظ القبيحة أو التى فيها نوع تشويش [1].

ومن هذه النصوص أيضا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لأناسٍ يأتون بعده يسمون الخمر بغير اسمها، وكذلك كراهيته صلى الله عليه وسلم لتغيير اسم صلاة العشاء بالعتمة وذلك حتى لا تتشوه المصطلحات وتصبح الألفاظ موهمة كما قال ابن القيم رحمه الله: (وقال تعالى "وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " وقال "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "، فكانت حكمة ذلك التعليم تعريف مراد المتكلم فلو لم يحصل له المعرفة كان فى ذلك إبطال لحكمة الله وإفساد لمصالح بنى آدم وسلب الإنسان خاصيته التى ميزه بها على سائر الحيوان....) [2]

وهذا الكلام يدل على أن الألفاظ والمصطلحات وسائل لفهم مقصود ومراد المتكلم، وعلى قدر الإخلال بالوسيلة ضبطاً واعتناءً واستحضاراً يفوتنا المقصود والمراد من كلام المتكلم.

ونحن إذ نتكلم عن مصطلح الآخر فنعتبر الكلام السابق تأصيلاً نظرياً وننزل عليه مصطلح الآخر تنزيلاً تطبيقياً فنقول وبالله التوفيق: إن لفظ (الآخر) من الألفاظ الموهمة المتعددة المعانى فالآخر هو الغير بإطلاق فقد يكون الأب أو الأم، الأخ أو الأخت، الزوج أو الزوجة، الابن أو الابنة، وكذلك هو الأجنبى والغريب عنك، وهو أخوك فى الدين والملة[3]، فبمعنى أصح هو كل العالم ما عدا المتكلم، ولذلك فليس من المعقول شرعاً وعقلاً وعرفاً استخدام مثل هذا اللفظ الموهم المتعدد المعانى، لأن ذلك يتعارض مع ما ذكرناه من قبل فى كلام ابن القيم رحمه الله من أنه لابد للفظ من أن يكون واضحاً واحداً فى معناه يفهم منه المتلقى ما يريده المتكلم.

ولقد أوضحنا من قبل فى المسألة الثانية أن مصطلح الآخر غريبٌ عن ثقافتنا وعن مجتمعنا الإسلامى فليس ثمة وجود لمصطلح الآخر لا فى أدبياتنا ولا موروثاتنا الثقافية، والتراث الإسلامى بأسره يخلو تماما من كلمة الآخر التى

---

[1] تفسير السعدى ص 63ط. المنار.

[2] ابن القيم الصواعق المرسلة 2 / 641.

[3] قبول الآخر د. لطف الله بن ملا عبد العظيم موقع صيد الفوائد الإلكترونى.

تفيد معنى التضاد، بل هناك مصطلحات ضبطتها الشريعة الإسلامية التى نظمت العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وهى مصطلحات تجسد بكل جلاء هذه العلاقة وأيضا العدالة والنزاهة الإسلامية مثل مصطلح أهل الذمة وأهل الكتاب وأهل الأهواء والمخالفون وكلها مصطلحات لا تتناول قومية ولا عرقية ولا لون ولا لسان، بل هى مصطلحات تشير لمن خالف المسلمين فى العقيدة داخل المجتمعات الإسلامية والتى رتب لهم الشارع الحكيم الحقوق والواجبات التى تتماشى مع وضعيتهم كأقلية محترمة داخل المجتمعات المسلمة بل عظمت الشريعة من حقوق هذه الأقليات، وفي ظل هذه العقلية الإسلامية المستقاة من الشريعة المطهرة نعم أهل الذمة أو أهل الكتاب (الآخر) بالكثير من الحقوق والمزايا مثلما حدث مع يهود الأندلس وما حدث مع أهل القسطنطينية بعد فتحها على يد محمد الفاتح رحمه الله عز وجل وهذه مجرد أمثلة نكتفي بها حتى لا نطيل، وهكذا نجد أن وضع مصطلحات أهل الكتاب وأهل الذمة وأهل الأهواء مكان مصطلح الآخر هو أحسن حالاً وأفضل مقالاً لأن فيه توضيحٌ وتبيينٌ لهذا الآخر وتعريفٌ بحقوقه وأحكامه.

وللتوضيح أكثر نذكر هذا التقسيم للآخر فى الشريعة الإسلامية:

1- المسلمون، وهم إما أن يكونوا على نفس منهج المتكلم، أو خلافه فيقال أهل السنة ويقال أهل الأهواء وليس هم مجال البحث.

2-غير المسلمين، وهم المقصودون بالآخر، وهؤلاء هم الذين يشنع على الإسلام والمسلمين بمخالفتهم ولذلك فهم داخلون في موضوع بحثنا وعليه فنفصل في أقسامهم وأحكامهم، فهم ينقسمون إلى[1]:

القسم	التعريف	الحكم
المحارب	الذى اجتمعنا معه في معامع القتال ومواقع النزال.	**الواجب أن يعمل فيه قول رب العالمين "فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا" (محمد: 4).**
الذمى	وهو من يدفع الجزية لولى أمر المسلمين كل عام.	**كثرت النصوص التى تُحرم علينا قتله أو إيذاؤه بأى صورة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) (رواه الإمام أحمد).**
المعاهد	وهو من كان بيننا وبينه عهد لمدة مطلقة أو معينة كالذين عاهدهم النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين بصلح الحديبية.	**لا يجوز الغدر به فإن خفنا غدره نبذنا عهده قال تعالى "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ " (الأنفال 58)وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة)[2].**
المستأمن	**الذى أُعطى أماناً من مسلم.**	**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) (البخارى – مسلم) فمن دخل فى جوار مسلم فلا يجوز إيذاؤه.**

فلا ريب إذا تم إطلاق هذه المصطلحات فسيعلم السامع حكم كل واحد منها دون أن يحتاج إلى شرح أو توضيح، ولذلك فهذه المصطلحات أولى بالاستخدام من مصطلح الآخر، ذلكم المصطلح الذى وضع أساساً فى الغرب بغرض بث الكراهية ونشر الحقد بين الناس جميعاً.

[1] أقسام الكفار د. مهران ماهر عثمان موقع صيد الفوائد.

[2] رواه البخاري برقم 6516

المسألة الثالثة: معنى قبول الآخر

يشيع استخدام هذا اللفظ فى الأوساط الثقافية والاجتماعية، ويكثر استخدامه للتعبير عن أنه لابد من قبول الآخر كليةً مذهباً وفكراً وديناً، ولا مانع أحياناً من تصحيحٍ لأفكاره الخاطئة أو حتى مذهبه الباطل.

فهذا المصطلح (قبول الآخر) لابد من تقييده وإلا كان القائل به موضع نظر حيث يحتمل كلامه: الرضا بدين اليهود والنصارى وتصحيحه ورفعه ليتساوى مع الإسلام، وهذا ما لا يقبله الله تعالى وتقييده يكون بإلحاق قيد به هو (فى حدود الشريعة) فيقال (قبول الآخر فى حدود الشريعة)[1].

والآخر كما قدمنا قبل ذلك إما أن يكون مسلماً أو غير مسلم، فإن كان فى دائرة الإسلام فله حكمٌ يختلف عن حكم غيره، وأما إن كان خارج دائرة الإسلام فيكون صورة المصطلح كما يلى: قبول غير المسلم سواءً كتابيٌ أو غير كتابيٍ فى حدود الشريعة وحينئذٍ يكون المعنى:

1- قبول السماع منه ومحاورته ومجادلته بالتى هى أحسن وقبول التعايش معه بسلام إذا كان من المسالمين.

2- قبول أدائهم شعائرهم دون إكراهٍ على الإسلام، أو تغيير دينهم ودون مضايقة.

3- قبول التعامل معهم تجارةً وتزاوراً وضيافةً، وعقد العهود والعقود معهم وأكل طعامهم والتزوج بنسائهم (إن كانوا من أهل الكتاب) والإحسان إليهم بالبر والقسط.

والقاعدة فى هذا القبول قوله تعالى " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " (الممتحنة: 8). وقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة: 8). وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أبو داود فى سننه (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ فأنا حجيجه يوم القيامة) [2].

فالآخر فى الإسلام ليس مباح الدم أو مسلوب العرض أو الكرامة لمجرد كونه آخر فالآخرية فى الإسلام لا تعنى التضاد وإنما تعنى التكامل.

وأما مصطلحات دار الإسلام ودار الحرب التى يُشنع بها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين فهى مصطلحاتٌ فقهيةٌ زمنيةٌ أملاها أو يمليها الواقع، وليس معناها أن غير العالم الإسلامى عالم محارب أو دار حربٍ بالنسبة للمسلمين فالإسلام يدعو إلى وحدة البشرية وتجمعها على الخير ويشدد فى تطبيق العدل بين الناس وينهى عن الظلم ولا يدعو إلى إزاحة الغير وحيث ما تكون مصلحة العالم يكون الإسلام.

---

[1] مقال قبول الآخر مصدر سابق.

[2] أبو داود برقم 2685.

وسوف نقوم بضرب أمثلة [1] على قبول الآخر (التعايش السلمى) من خلال التاريخ الإسلامى الذى ينقل إلينا الصورة الصحيحة عن الإسلام:

1- لا شك أن أعظم ميثاق للتعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم هو ميثاق المدينة أو صحيفة المدينة أو دستورها، وتم ذلك بين المسلمين من طرف واليهود من طرفٍ آخر، وكانت المبادرة من جانب المسلمين تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- ومع انتشار الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين وما بعده تتابعت المواجهة العسكرية بين المسلمين والطغاة الرومان والفرس والتى انتهت بفتوحاتٍ إسلامية، اتخذ التعايش بين المواطنين صورة أكثر إيجابية فلا يقتصر على مجرد تبادل الاحترام بل أصبح المواطنون غير المسلمين يؤازرون الجيش المسلم طواعيةً للقضاء على سلطان الطغاة وإن كانوا على دينهم وكان من مقولاتهم (جاء الحليم وذهب الطغيان)

و(يامعشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الرومان وإن كانوا على ديننا).

ومن نماذج ذلك:

أ- ما ذكره القاضى أبو يوسف رحمه الله (فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين وحسن السيرة منهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعونا لهم على أعدائهم) [2]

ب- ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه مع أقباط مصر بعد الفتح الإسلامي لها، حيث أعاد الأنبا بنيامين بطريك الأرثوذكس بعد أن كان هارباً من الرومان، وكذلك أعاد المسلمون للأرثوذكس كنائسهم التي استولى عليها الرومان قبل الفتح الإسلامي، ولم يقم المسلمون بهدم كنيسة واحدة لأقباط مصر مطلقاً، وهذا هو الذي جعل الكاتب القبطي يعقوب نخلة روفيلة يشهد للفتح الإسلامي بأنه حرر مصر من الاستعمار الروماني الذي دام عشرة قرون، وحرر ضمائر أهل مصر من الاضطهاد الديني الروماني[3].

3- وعندما فتح المسلمون أسبانيا رحب بهم اليهود والأرقاء الذين كانوا يعانون من الاضطهاد تحت سيطرة القسس النصارى، فساعدوهم على فتح أبواب المدينة كما استعان بهم الفاتحون فى حماية المدن التى وقعت فى أيديهم وتحولت أسبانيا إثر الفتح الإسلامى إلى بلد الألفة بين مواطنيها وذلك بفضل سياسة المسلمين المتسامحة مع المواطنين الاصليين.

4- فى عهد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله تمتع النصارى بالسعادة إلى حد كبير، فقد خفض الحاكم المتسامح الضرائب بل وأزال بعضها جملة، ولم يكن هناك ما يشكو منه النصارى فى هذا العهد المسلم المتسامح، ولذلك

---

[1] التعايش العلمى بين المسلمين وغيرهم سور حمن هدايات ص 372: 378.

[2] الخراج ص 139.

[3] من مقال "فضل ابن العاص على أقباط مصر " موقع قصة الإسلام.

كان بعض أقباط مصر هم الذين عاونوا صلاح الدين الأيوبى فى إحباط مؤامرة عموري الأول ملك بيت المقدس الذى كان يحاول إزاحة ملك صلاح الدين الأيوبى.

5- فى خلال ثورة 1919 ضرب الأب سرجوس مثالا رائعا على ذلك التعايش حيث وقف بجامع الأزهر ليقول (إذا كان الإنجليز يتمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول ليمت القبط وليحيا المسلمون أحراراً).

وليس بأمر غريب أن تعلقت قلوب الأقباط بالأزهر منارة الإسلام فإن الأزهر الشريف إلى جانب مواقفه المنصفة من القضايا الوطنية فهو لم يوصد أبوابه من دون القبط فقد كان للأقباط قديماً رواقاً بالأزهر يتلقون فيه العلوم المنطقية وغيرها من العلوم.

فهذه وغيرها من أمثلةٍ على ذلك التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم وعلى القبول الذى كان يتم بينهم مع احتفاظ كل واحد منهم بدينه وفكره ومذهبه وكل ذلك إنما هو صدى من رحمة الإسلام التى تُظل البشرية جميعا على اختلاف أجناسها ومعتقداتها. قال الإمام محمد عبده رحمه الله (الدين الإسلامى الحقيقى ليس عدوالألفة،ولا حرباً لمحبة،ولا يحرم المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم فى المصلحة وإن اختلف عنهم فى الدين) [1].

ونختم هذا المبحث بذكر بعض الشهادات التي نطق بها غير المسلمين وأدوها من دون إكراه، وإنما هو منهم إنصاف للحقيقة لما رأوه في الإسلام من عدلٍ وتسامحٍ لا مثيل له والتي منها:

1- **يقول الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا**: "إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقةً للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة". [2]

2- **تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه**: "لا إكراه في الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه، إلى السادة الفاتحين". [3]

3- **يقول غوستاف لوبون**: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول: وكان عرب أسبانيا -خلا تسامحهم العظيم- يتصفون بالفروسية المثالية؛ فيرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوروبا منهم مؤخرا. [4]

---

[1] محمد رشيد رضا. تاريخ الاستاذ الإمام (535 – 536).

[2] الإسلام والغرب محاضرة الأمير تشارلز في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام 1993

[3] شمس الله تسطع على الغرب زيغريد هونكه 364-368 ط/ دار الآفاق الجديدة بيروت

[4] حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص 344

4- **يقول هنري دي شامبون مدير مجلة "ريفي بارلمنتير" الفرنسية:** لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا؛ لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه، لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولنجت من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك، فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية.[1]

المبحث الثالث: الإسلام والغرب من يرفض من؟ ومن يقبل من؟

لقد اتخذت العلاقات بين الغرب والإسلام صيغاً وأبعاداً مختلفة بامتداد قرون التماس والتفاعل بين الكتلتين الحضارتين إلا أن الثابت فى المقاربة الغربية هو تحديد الأنا عبر الآخر تصنعه بالصورة التى تجعله قابلاً لأن يقوم بالوظيفة التى تريدها منه.

بدأ هذا المسار عبر الفكر الكنسى الذى أنتج جملةً من المقولات التى تدعى بطلان الإسلام كدين سماوى قائم على الوحى الإلهى، وتُلصق به تهم الإرهاب والشهوانية كما ترمى السيرة النبوية بالتهم المخلة.[2]
وهذا قد حفز المفكرين والعلماء على مناهضةٍ دينيةٍ عابرةٍ للعصور أعادت إنتاج مشاعر الحقد على الإسلام والمسلمين.
وجاءت أحداث سبتمبر 2001 لتفجر هذه الخلفيات الحضارية فى علاقات الغرب بالإسلام والمسلمين حيث مثلت مدخلاً لإعادة صياغة العديد من السياسات الدبلوماسية والأمنية والعسكرية وحتى الثقافية تجاه العالم الإسلامى، فتنامت الضغوط من أجل تخفيف ما يسمى بمنابع الإرهاب والقضاء على أسباب التطرف الدينى وإصلاح البرامج التعليمية وغيرها.
إذا كانت هذه هى الممارسة الغربية ضد الآخر الإسلامى فإن هانتنجتون ليس بمخترع لهذا الذى مارسه الغرب عبر هذا التاريخ الطويل، وإنما كان فى الحقيقة كاشفاً عن هذه النزعة الصراعية الغربية ضد الإسلام وعالمه وهذا هو معنى عبارته (إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ 1300 عام)[3]، وهانتنجتون بهذا الكلام يتجاهل موقف الإسلام وأمته وحضارته إزاء الآخر، بل ويتجاهل رفض الإسلام للفلسفة

---

[1] نقلا عن: صور من حياة التابعين، عبد الرحمن الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط 15، 1418هـ ص 420

[2] أوهام الغرب عن الإسلام محمد رضوان.

[3] الإسلام والأخر ص 143 مرجع سابق.

الصراعية وتبنيه بدلاً منها لفلسفة التدافع الذى هو حراكٌ سياسىٌ ودينىٌ وفكرىٌ واجتماعىٌ يصحح مواقف الظلم والجور والخلل ليعيد علاقات الفرقاء إلى نقطة العدل والتوازن لا أن يذهب بالصراع إلى صرع الآخر وإلغائه.وأيضاً دون أن يتبنى موقف السكون والسلبية الذى يدع العالم غابةً يفترس الأقوياء فيها الضعفاء، فالإسلام رافضٌ لمذهب الصراع وفلسفته منحازٌ إلى التدافع الحضارى وفلسفته قال الله عز وجل " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " (فصلت: 34).

ونذكر هنا ثلاثة أقوال لغربيين سياسين ومفكرين تؤكد هذا الرفض للآخر من قبل الغرب والآخر هنا لا يمثل سوى الإسلام كما سنرى:

القول الأول للرئيس الأمريكى السابق ريتشارد نيكسون الذى يقول: (إن الكثير من الأمريكين قد اصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء.... ويتصور كثير من الأمريكين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة مدمرون وغير منطقيين). [1]

القول الثانى لرئيس المجلس الوزاري الأوروبى(جيانى ديميلكس) الذى يقول:(صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الإسلامى) [2]

القول الثالث لهانتنجتون الذى يقول: (أنه ينبغى ترتيب معارك الأولويات فى معارك صراع الغرب مع الآخرين ويجب البدء بكسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية – الصينية – مع تحييد الحضارات الآخرى حتى يفرغ الغرب من الأسلام والصين.) [3]

وعلى الجانب الآخر نرى فى الإسلام والمسلمين الإنصاف والعدالة فقد حدث الصحابى المستورد بن شداد رضى الله عنه فى مجلس كان فيه عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول (تقوم الساعة والروم أكثر الناس)، فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه: أبصر ما تقول قال: أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه: (لئن قلت هذا إن فيهم خصالاً أربعاً إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة وأرحمهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك).[4]فهنا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يقرر أن الروم (الغرب) سيكونون أكثر الناس عدداً ومنعةً وقوةً عند قيام الساعة وحينما سمع عمرو بن العاص رضى الله عنه هذا الحديث أخذ يعدد الأسباب التى جعلتهم أقوى الأمم وأكثرها شكيمةً وبأساً وعلماً وتقدماً، وهذا يدل على التصاق عمرو بن العاص رضى الله عنه الشديد بالروم مما يؤكد التعايش بين المسلمين وغيرهم ومما يؤكد حرص المسلمين على

---

[1] ريتشلرد نيكسون. الفرصة السانحة ص 135.

[2] من مقال فهمى هويدى (من يعادى من؟) الأهرام.

[3] الحضارات العالمية: تدافع أم تصارع؟ د. محمد عمارة.

[4] أخرجة الإمام أحمد (1 / 230) مسلم برقم 177.

الاستفادة من كل الناس. وكأن عمرو بن العاص رضى الله عنه عندما تحدث عن بعض الفضائل هناك سواء فى السلوك أو فى مظاهر التقدم والحضارة عندهم إنما أراد أن يؤكد أن الإسلام لا يرفض أحداً بناءً على دينه أو لغته أو جنسه إنما التعايش والاستفادة هما أساس التعامل مع كل الناس.

وحديث القرآن الكريم عن معارك الفرس والروم لهو أكبر دليل على تفاعل المسلمين مع غيرهم وعدم رفضهم فقد قال الله عز وجل " الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ " (سورة الروم 1: 5).

وبعد فقد اتضح جليا لكل ذى عقل وفهم من يرفض من، الغرب أم الإسلام؟

المبحث الرابع: أليات التعامل مع الآخرين فى الشريعة الإسلامية

الناس منذ خلقهم الله تبارك وتعالى وهم مختلفو الطباع والرغبات والميول، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).[1]

وكان شأنه صلى الله عليه وسلم فى تربية أصحابه رضي الله عنهم وتعليمهم أن يراعى أحوال من يتعامل معهم وينزل الناس منازلهم، وما حدث فى فتح مكة خير دليلٍ على ذلك فقد جعل من يدخل منزل أبى سفيان فهو آمن، وما ذلك إلا لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن أبا سفيان رجل يحب الفخر. إنها المعرفة بنفسيات الناس وما يطيقون وما يحبون ومعرفة الدخول إلى قلوبهم.وقد كان صلى الله عليه وسلم متمثلاً قول الله عز وجل " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "(النحل: 125) وهو الذى قال الله عز وجل له" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (أل عمران: 159).

وقد أمر الله عز وجل بحسن التعامل مع الآخرين فقال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (النساء: 94).

وأمر الله عز وجل نبييه ورسوليه موسى وهارون عليهما السلام وهما يقابلان أعتى مجرمٍ على وجه الأرض أمرهما أن يلينا معه القول " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى "(طه: 44) ويوجد من هدى النبى صلى الله عليه وسلم نماذج كثيرة فى هذا السبيل منها موقفه حين لقى قريشاً يوم فتح مكة وكانوا يظنون أنه سينتقم منهم فقال لهم (ما ترون أنى فاعلٌ بكم؟ قالوا خيراً أخٌ كريم وابن أخٍ كريم قال: فإنى أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء). ومنها زيارته إلى ذلكم الغلام اليهودى والذى كان سبباً فى إسلامه عندما جاء

---

[1] رواه مسلم وقد سبق تخريجه.

ودعاه إلى الإسلام بعد أن مرض فنظر إلى أبيه وكأنه يستأذنه فقال له: (أطع أبا القاسم) فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) وعن أبى ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الأرض فقالا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام فقيل: إنه يهودى فقال: أليست نفساً). [1]

ألا ما أروع هذا الموقف حقا !

هذه هى النظرة الإسلامية للنفس البشرية

فالمسلم يقبل ببساطة أن يوجد له مخالفون فى العقيدة ويعلم أن اختفاءهم من الأرض مستحيل، ولذلك يتعايش معهم بشكل طبيعى وخاصةً أن الشريعة الإسلامية توضح بجلاء أطر التعامل وآليات التفاهم مع الطوائف المختلفة من غير المسلمين، ولا أجد أفضل من كلمة ذكرها باحث نصرانى للتدليل على ذلك وهو الدكتور نظمى لوقا إذ يقول:(ما أرى شريعةً أدعى للإنصاف ولا شريعةً أنفى للإجحاف والعصبية من شريعةٍ تقول " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا "(المائدة: 8) فأى إنسانٍ بعد هذا يكرم نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ أو يأخذها بديدن أقل منه تسامياً واستقامةً....) [2]

وفيما يلى نعرض لأسس عامة فى علاقة المسلمين بغيرهم:

1- مشروعية الرحمة العامة

قال تعالى" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " (الأنبياء: 107)، ومن هنا حض الإسلام على رحمة الناس والرأفة بهم، وجاءت النصوص الكثيرة حول هذا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس). [3]

فالرحمة إذاً شاملة لجميع الخلق وليست خاصة بالمسلمين.

---

[1] البخارى برقم 1250 ومسلم برقم 961 واللفظ له.

[2] التعامل النبوى مع غير المسلمين د. راغب السرجانى.

[3] متفق عليه (البخارى برقم 7376 مسلم برقم 2322.

2- مشروعية البر والإحسان إلى المسالمين

يحث الإسلام على البر والإحسان وبذل المعروف والنصح لجميع الناس، إلا من حارب الله ورسوله وتربص بالمسلمين الدوائر أما من عداهم فالدين لا يمانع من برهم والعطف عليهم ما داموا مسالمين موادعين قال تعالى " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " (الممتحنة: 8). فالإحسان وبذل المعروف مرغوبان لكل أحدٍ ولو كان من غير المسلمين. وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أن تصل أمها المشركة [1] فصلة الرحم مأمور بها لكل الأقارب وإن كانوا على غير الدين والملة وهذا من باب الإحسان والبر.

3- الرفق بأهل الذمة

فيجب فى حق كل ذى ذمة أن يُعامل معاملةً حسنةً لا أذى فيها ولا غلظة ودون سبٍ وشتمٍ أو إذلالٍ وإهانةٍ، فقد روى الإمام مسلم أن هشام بن حكيم مر على أناسٍ من الأنباط بالشام (والأنباط هم فلاحو العجم) قد أقيموا فى الشمس فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حُبسوا فى الجزية فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا) [2] ومن صور الرفق بأهل الذمة:

أ- جواز التهادى معهم.

وقد دلت النصوص على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبل الهدية من غير المسلمين مثل هدية ملك أيلة وهدية أكيدر (ملك) دومة الجندل وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قبل هدية اليهودية التى أهدت له شاة مسمومة. قال فى المغنى (ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبى صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس صاحب مصر) [3] فإذا كان هذا فى المحارب فهو من المسالم أولى بل وأفضل.

ب- جواز المخالطة للدعوة ونحوها

فالإنسان مدنىٌ بطبعه لأن الله عز وجل فطره على ذلك ولهذا حرص الإسلام على أن يجعل من المسلم مصباحاً يستضاء به وقدوةً يقتدى به، وأن يكون داعياً لله على بصيرة قال تعالى " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(يوسف ": 108)

قال الإمام أحمد رحمه الله: يشارك المسلم اليهودى والنصرانى ولكن لا يخلو اليهودى والنصرانى بالمال دونه لأنه يعمل بالربا وبهذا قال الحسن والثورى [4]

ج- حل طعام أهل الكتاب ونسائهم

قال تعالى " الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ " (المائدة: 5). قال فى المغنى: (وأجمع أهل العلم على إباحة ذبائح أهل الكتاب)[1]

---

[1] أصله فى البخارى برقم 5978.

[2] مسلم برقم 2613.

[3] المغنى 10 / 566.

[4] المغنى كتاب الشركة 5 / 110 – 111.

وقال أيضاً: (ليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب) [2]

---

[1] المرجع السابق 11 / 35.

[2] المرجع السابق 7 / 500.



د- عدم الإكراه فى الدين

فقد تسامح الدين مع المخالفين فى العقيدة والعبادة، حيث أنه لا يجبرهم على الدخول فيه بل ترك لهم حرية الاختيار ومن ثم يعطيهم فرصةً للتفكير والنظر فيقبل منهم الجزية وفى هذا حقنٌ لدمائهم وأموالهم فقد قال تعالى" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " (البقرة: 256)، قال ابن كثير رحمه الله: (لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام) [1]

وهكذا يظهر واضحاً جلياً كيف أن الإسلام وشريعته لم يرفضا يوماً الآخرين، وإن كانوا غير مسلمين فالتسامح شعار المسلمين على مر العصور والقبول للآخرين بضوابطه هو ديدنهم وعادتهم.

والله الموفق وهو وحده المستعان وعليه التكلان.

[1] تفسير القرأن العظيم 310/1.

الخاتمة

وفى نهاية هذه الرحلة العلمية المباركة، يجدر بى بعد حمد الله على توفيقه وتيسيره أن أجمل باختصارٍ شديدٍ أهم النتائج التى انتهيت إليها فى النقاط التالية:

1- لابد من تحرير الألفاظ والمصطلحات قبل الخوض فى أحكامها وإلا وقعنا فى حيرةٍ وارتباكٍ شديدين.

2- عدم التفريق فى المعنى بين الخلاف والاختلاف.

3- التنوع طبيعة موجودة فى البشر بغرض إثراء الحياة وعمارة الكون.

4- منهج الإسلام فى التعايش يمكن تلخيصه فى جملة واحدة:

(اختلاف فحوار فتعارف فتسامح فتعايش وسلم إجتماعى)

5- الاختلاف مشروعٌ فى المنهج الإسلامى بالفطرة والدليل.

6- الاختلاف نوعان مذمومٌ ومحمود، سائغٌ وغير سائغ.

7- أسباب الاختلاف كثيرة ونذكر منها:

1- فساد النية.

2- اتباع الهوى.

3- الجهل.

4- التعصب.

5- التقليد.

6- عدم التحرير لمحل النزاع.

7- اختلاف المدارك.

8- عدم التفهم.

9- سوء الظن.

10- الخلط بين الثوابت والمتغيرات.

8- المنهج فى التعامل مع الخلاف مبنىٌ على عمل القلب، والعدل والإنصاف، والعلم واليقين، والتعامل بالسياسة الشرعية، وكذلك إعمالٌ للأخلاق.

9- الآخر مصطلح غربى نشأ وترعرع فى أوساطه الفكرية والثقافية.

10- لفظ الآخر من الألفاظ الموهمة المتعددة المعانى والتى تحتاج إلى تحديد وتأطير.

11- ليس ثمة وجود لمصطلح الآخر بمعنى التضاد فى الثقافة الإسلامية ولا فى المنهج الإسلامى.

12- استخدام مصطلحات أهل الكتاب وأهل الذمة وأهل الأهواء مكان مصطلح الآخر أحسن حالا وأفضل مقالا، ويؤدى المعنى المقصود، ولا يحدث به الخلط الذي يحدث مع مصطلح الآخر.



13-لابد من تقييد مصطلح قبول الآخر حتى لا يدخل فيه ما ليس منه.

14-التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم واضح جلى على مر العصور، ولا يجادل فيه إلا حاقدٌ أو جاهل.

15- اتضح من خلال البحث أن الغرب هو الذى يرفض الإسلام والمسلمين وليس العكس.

16- النظرة الإسلامية للمخالف أنه نفس بشرية له ماله وعليه ما عليه.

17- أسس التعامل بين المسلمين وغيرهم قائمة على:

1- الرحمة العامة.

2- البر والإحسان.

3- الرفق بأهل الذمة.

4- عدم الإكراه فى الدين.

وأهم التوصيات التى يوصى بها الباحث فى ضوء دراسته لموضوع التنوع وقبول الآخر هى:

1- إعلاء قيم التسامح فى المجتمع، وذلك بنشر الأحاديث والآيات التى تدل على ذلك.

2- ضبط المصطلحات والألفاظ ضبطاً إسلامياً شرعياً وبث ذلك فى المناهج والحوارات الصحفية وغيرها.

3- إقامة حوار مع غير المسلمين قائمة على أساس إسلامى لإزالة ما علق بالمصطلحات الإسلامية من لبسٍ وغموض.

4- كشف الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين[1].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

[1] وللمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حفظه الله كتاب حول هذا الموضوع.

ثبت المصادر والمراجع

القرأن وعلومه

1- القرأن الكريم: طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

2- تفسير القرأن العظيم، للعلامة عماد الدين أبي الفداء ابن كثير، الدار الشعبية بدون تاريخ الطبع.

3- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدى تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة دار المنار – القاهرة.

السنة الشريفة وعلومها

1- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخارى (صحيح البخاري)، طبعة دار المستقبل، الطبعة الأولى 2009.

2- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى، طبعة دار ابن الجوزى. القاهرة 2011.

3- سنن الترمذى (الجامع الصحيح)، أحمد بن عيسى بن سورة أبي عيسى الترمذى، طبعة دار ابن الجوزى. القاهرة 2011.

4- سنن النسائى (المجتبى)، أحمد بن على بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائى، طبعة دار ابن الجوزى. القاهرة 2011.

5- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، تعليق محمد فؤاد بن الباقى، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء. المملكة العربية السعودية.

الفقة وأصوله

1- اختلاف المفتين، الشريف حاتم بن عارف العونى، دار الصميعى المملكة العربية السعودية 2008.

2- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، طبعة دار ابن الجوزى المملكة العربية السعودية 1423 هـ.

3- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد مكة المكرمة 1425 هـ.

4- البحر المحيط فى أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت 1413 هـ.

5- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعى، تحقيق أحمد محمد شاكر مكتبة، دار التراث 1399 هـ.

6- ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى، دراسة وتقييم أ.د محمد عمارة، هدية شهر رمضان 1431 هـ. مجلة الأزهر.

7- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء. المنصورة. دار ابن حزم بيروت 1432 هـ.

8- المغني، لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، طبعة دار عالم الكتب، 1407هـ.

السير والتراجم

1- تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، مطبعة المدار بمصر 1350 هـ.

2- التعامل النبوى مع غير المسلمين، تأليف الدكتور راغب السرجانى، طبعة أقلام للنشر والتوزيع والترجمة 2010 م.

3- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق الدكتور همام عبد الرحمن سعيد، والدكتور محمد بن عبدالله أبو صعيليك، طبعة مكتبة المنار الأردن.

4- السيرة النبوية الصحيحة، الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان 2005 م.

5- صحيح السيرة النبوية، الدكتور إبراهيم العلي، طبعة دار النفائس الأردن 2004 م.

6- صور من حياة التابعين، عبد الرحمن الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، 1418هـ.

اللغة والمعاجم

1- التعريفات، لعلى بن محمد الجرجانى، حققه وقدم له: إبراهيم الإبيارى، طبعة دار الكتاب العربى بيروت 1418 هـ.

2- القاموس المحيط، تأليف مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادى، طبعة دار إحياء التراث العربى 2000

3- الكليات، لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصرى، مؤسسة الرسالة بيروت 1419 هـ.

4- لسان العرب، للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصرى، دار صادر بيروت 1375 هـ.

5- مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، طبعة دار الحديث، القاهرة 2008.

العقيدة والفكر الإسلامى

1- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض 1413 هـ.

2- أوهام الغرب عن الإسلام، الدكتور محمد رضوان، طبعة الأندلس الدار البيضاء المغرب 2013 م.

3- الإرهاب وخطره على السلام العالمى، إشراف أ. د / محيي الدين عفيفى أحمد، مجمع البحوث الإسلامية الأزهر الشريف 2015.

4- الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، طبعة مكتبة الشروق الدولية القاهرة.

5-الاعتصام، للإمام أبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم بن عبد الهلالى طبعة دار ابن القيم السعودية – ابن عفان مصر 1423 هـ.
6-التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، إعداد سورحمن هدايات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة 1421 هـ.
7-الحضارات العالمية تدافع أم صراع (سلسة فى التنوير الإسلامى)، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، طبعة نهضة مصر 1998 م.
8-الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تقديم السيد بن سليمان الندوى، طبعة دار المعرفة لبنان.
9-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور على بن محمد الدخيل، طبعة دار العاصمة الرياض 1418 هـ.
10-ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، الدكتور سعود بن سعد بن نمر العتيبي، طبعة مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة السعودية 1430 هـ.
11- ملخص أعمال مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب، دار القدس العربى 2017.
12- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة مؤسسة قرطبة 1406 هـ.

كتب مترجمة

1-أيدولوجيا الغزو، تأليف فراشوا شاتليه، ترجمة جوزيف عبدالله، كتاب إلكتروني.
2-الإسلام والغرب، محاضرة الأمير تشارلز في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام 1993.
3-الفرصة السانحة، تأليف ريتشارد نيكسون، ترجمة أحمد صدقى مراد، طبعة دار الهلال القاهرة 1992 م.
4- حضارة العرب، غوستاف لوبون، كتاب إلكتروني.
5-روح القوانين، تأليف مونتيسيكيو، ترجمة عادل زعيتر، طبعة اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية.
6-شمس الله تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ط/ دار الآفاق الجديدة بيروت.

الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

1-موقع منبر الحرية.
2-موقع صيد الفوائد.
3-موقع الدرر السنية.
4-موقع ملتقى أهل الحديث.
5-موقع الرياض الإلكترونى.
6-موقع الأهرام.

7-موقع قصة الإسلام.

1-فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
1	ادع إلى سبيل ربك...	النحل	125	29
2	ألم. غلبت الروم...	الروم	5:1	28
3	أمن هو قانت أناء الليل...	الزمر	9	12
4	الأعراب أشد كفرا ونفاقا...	التوبة	97	17
5	اليوم أحل لكم الطيبات...	المائدة	5	31
6	ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق...	البقرة	176	8
7	فإذا لقيتم الذين كفروا...	محمد	4	23
8	فبما رحمة من الله لنت لهم...	آل عمران	159	29
9	فذكر فإنما أنت مذكر...	الغاشية	21: 22	7
10	فقولا قولا لينا...	طه	44	29
11	فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم...	الجاثية	17	10
12	قل هذه سبيل أدعو إلى الله...	يوسف	108	31
13	كان الناس أمة واحدة...	البقرة	213	19
14	لا إكراه في الدين...	البقرة	256	31
15	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها...	البقرة	286	6
16	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم...	الممتحنة	8	30-23-5

17	وأطيعوا الله ورسوله...	الأنفال	46	12
18	وأمرت لأعدل بينكم...	الشورى	15	16
19	وإما تخافن من قوم خيانة...	الأنفال	58	23
20	ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا...	المائدة	77	10
21	ولا تقف ما ليس لك به علم...	الإسراء	36	4
22	ولا تستوى الحسنة...	فصلت	34	27
23	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة...	المائدة	48	7
24	ولو شاء ربك لجعل الناس...	هود	118	6
25	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...	الأنبياء	107	30
26	وما كان الناس إلا أمة واحدة...	يونس	19	19
27	ومن أياته أن خلقكم من تراب...	الروم	20	1
28	يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا...	الأحزاب	70: 71	1
29	يأيها الذين أمنوا اتقوا الله ولا تموتن...	أل عمران	102	1
30	يأيها الذين امنوا إذا ضربتم...	النساء	94	29
31	يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله...	النساء	59	17
32	يأيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق...	الحجرات	6	14
33	يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله...	المائدة	8	24
34	يأيها الذين امنوا لا تقولوا راعنا...	البقرة	104	21
35	يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم...	النساء	1	1

2-فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الكتاب	رقمه	رقم الصفحة
الناس معادن....	مسلم	2638	28-8
إن الله خلق آدم....	الترمذى	2898	8
ألا إن من كان قبلكم....	أبو داود	4597	9
إن الله يحب الرفق....	البخارى	6395	15
إن الرفق لا يكون فى شيء....	مسلم	2594	15
ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه....	أبو داود	2685	24
أليست نفسا....	البخارى	1250	29
إن الله يعذب....	مسلم	2613	30
تقوم الساعة والروم أكثر الناس....	أحمد	230/1	28
كلاكما محسن ولا تختلفوا....	البخارى	2279	10
فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء....	أبو داود	4607	17
لا يرحم الله....	البخارى	7376	30
وقد تركت فيكم ما لن....	مسلم	121/1	17
يا محمد نعم القوم أنتم....	النسائى	3773	13
وما تواضع أحد لله....	مسلم	2621	15
من قتل معاهداً....	البخارى	6516	23

فهرس الموضوعات

المقدمة 3
التنوع وقبول الآخر.. 4
الفصل الأول 6
الاختلاف والتنوع التعريف والماهية 6
الفصل الثاني.. 20
قبول الآخر مفاهيم وأليات 20
الخاتمة 38
ثبت المصادر والمراجع 40
فهرس الموضوعات 46